﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ١٤٩﴾ [الأعراف: 149]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بَـعْـدَ تـوقُّـعِ هلاكِهِم بسَبَبِ تكْذيبِهِم، أخبَرَ عن رفْعِ العذابِ عنهُم لِنَدمِهِم

لمّا كانَ هذا في سياقِ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾؛ فأنتجَ أنّ مَن كَذَبَ على هذهِ الصّفةِ أُهلِكَ، فانتَظَرَ السّامعُ الإخبارَ بتعجيلِ هَلاكِهِم، أخبَرَ بأنّهُ مَنَعَهم مِن ذَلِكَ، وحَرَمَهُم المُبادرةَ بالتّوبةِ، ولمّا اشتدَّ مِن تَشَوُّفِ السّامعِ إليه، قَدَّمَهُ على سَبَبِهِ، وهو رُجوعُ مُوسى ﷺ إليهِم وإنكارُهُ عَليهِم[1]، فحينَ تحقَّقُوا بقُبحِ صنيعِهِم تجرَّعُوا كاساتِ الأسفِ ندمًا، واعترفُوا بأنّهم خَسِرُوا إن لم يتدارَكْهُم مِنَ اللّهِ جميلُ لطفِهِ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سُقِطَ﴾: السِّينُ والقَافُ والطَّاءُ أَصلٌ واحِدٌ يدُلُّ عَلَى الوُقُوعِ[3]، السُّقوطُ: طَرحُ الشَّيءِ؛ إمّا مِن مكانٍ عالٍ إلى مكانٍ مُنخفِضٍ كسُقُوطِ الإنسانِ مِنَ السّطحِ، وقولُهُ: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾؛ يعني: النَّدَمَ[4] والحَيرةَ، وليسَ في القرآنِ مِن هذا التّركيبِ إلّا السّقوطُ المادّيُّ، والمعنويُّ[5].

2) ﴿ضَلُّواْ﴾: الضَّادُ واللّامُ أَصلٌ صَحِيحٌ يدُلُّ على مَعنًى واحِدٍ، وهو ضَيَاعُ الشَّيءِ وذَهَابُهُ في غَيرِ حَقِّهِ[6]، وضَلَّ إذا جارَ عنِ القَصدِ،

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 3/113 - 114.
(2) القشيريّ، لطائف الإشارات: 1/572.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سقط).
(4) الرّاغب، المفردات: (سقط).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سقط).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضلّ).

وهَلَكَ[1]، والضّلالُ ضدُّ الهُدى، وضلَّ في الأَرضِ ضلالًا إذا لم يهتدِ لِلسّبيلِ[2]، وضللتَ: إذا أخطأتَ مَوضِعَ الشَّيءِ الثَّابتِ[3].

والضّلالُ: هو العُدُولُ عَنِ الطريقِ المُستَقيمِ، ويُضَادُّه الهِدَايةُ، وهو: كُلُّ عُدُولٍ عَنِ المنهجِ والحَقِّ، عَمدًا كانَ أَو سَهْوًا، يَسيرًا كانَ أَو كثيرًا، وهو ضَربَانِ: ضَلالٌ في العُلُومِ النَّظَرِيَّةِ، كالضَّلالِ في معرفَةِ وَحدَانِيَّتِه تعالى، ومعرفَةِ النُّبُوَّةِ، ونحوِهما، وضَلالٌ في العُلُومِ العَمَلِيَّةِ، كَمعرفَةِ الأَحكامِ الشَّرعِيَّةِ، الَّتِي هِيَ العِبادَاتُ[4]، والضّلالُ في الآيَةِ الكريمةِ مِنَ الضّربِ الأوّلِ؛ لكونِ بني إسرائيلَ اتّخذُوا عِجلًا إلهًا مِن دونِ اللّهِ.

3) ﴿يَرْحَمْنَا﴾: الرَّاءُ والحَاءُ والميمُ أَصلٌ وَاحِدٌ يدُلُّ على الرِّقَّةِ والعَطفِ والرَّأفَةِ، يُقَالُ مِن ذَلِكَ: رَحِمَهُ يَرحَمُهُ، إِذَا رَقَّ لَهُ وَتَعَطَّفَ علَيهِ[5]. الرَّحمةُ: رِقَّةٌ تَقتَضِي الإِحسَانَ إِلَى المَرحُومِ، وَقد تُستَعمَلُ تارَةً في الرِّقَّةِ المُجرَّدَةِ وتَارَةً في الإِحسَانِ المُجَرَّدِ عَنِ الرِّقَّةِ، نَحو: رَحِمَ اللَّهُ فُلانًا. وَإِذا وُصِفَ بِهِ البَارِي فَلَيسَ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الإِحسَانُ المُجَرَّدُ دُونَ الرِّقَّةِ، وعَلى هَذَا رُوِيَ أَنّ الرَّحمةَ مِنَ اللّهِ إنعامٌ وإفضالٌ، وَمِنَ الآدَمِيّينَ رِقَّةٌ وتَعَطُّفٌ[6]، وهي مِنَ اللّهِ ﷻ كلُّ ما يناسِبُ البَلالَ والرِّقَّةَ مِن إحسانٍ ورزقٍ وحَنانٍ ومَغفرةٍ لعبادِه، وهُمْ في حَوزَتِه تعالى، وجلُّ ما في القرآنِ مِنَ التَّركيبِ فهو بمعنى الرّحمةِ هذا[7]، ومِن هنا فمعنى اللّفظِ في الآيَةِ الكريمةِ ظاهرٌ في دَلالتِه على طلبِ الإنعامِ، والتّفضُّلِ، والإحسانِ، والرّأفةِ بحالِهم.

4) ﴿وَيَغْفِرْ﴾: الغَينُ والفَاءُ والرَّاءُ أصلٌ بمعنى السَّترِ والتَّغطيةِ، وَغفرَ اللّهُ ذنوبَهُ؛ أَي: سَترَها، وَلم يَفضَحْهُ بهَا على رُؤُوسِ المَلأِ، وكلُّ شَيءٍ سترتَهُ فقد غَفَرتَهُ[8]. والغُفرانُ والمَغفِرَةُ مِنَ اللّهِ هو أن يَصُونَ العبدَ مِن أن يَمَسَّهُ العذابُ[9]. وإلباسُ اللّهِ تعالى العفوَ

(1) الخليل، العين: (ضَلّ)، والجوهريّ، الصّحاح: (ضلل).
(2) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (ضلل).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ضل).
(4) الرّاغب، المفردات: (ضل)، والزّبيديّ، تاج العروس: (ضلل).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رحم).
(6) الرّاغب، المفردات: (رحم).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (رحم).
(8) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (غفر).
(9) الرّاغب، المفردات: (غفر).

للمُذْنِبينَ[1]. والغُفرانُ يَقتَضي إسقاطَ العقابِ، وإسقاطُ العقابِ هُوَ إيجابُ الثَّوابِ[2]، وكلُّ ما جاءَ في القرآنِ مِنَ التَّركيبِ هو مِن مَغفِرَةِ الذُّنُوبِ[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تـبـيّنَ الـقـومُ مـا فـعـلُـوا مـن ضـلالٍ، وطَلَبُوا الرّحمةَ والـغُـفـرانَ من ذِي الجلالِ

يُخبرُ اللّه تعالى أنَّهم لمَّا اشتدَّ ندمُهُم وحسرتُهُم على ما فَعلُوه رأوا أنّهم قد ضلُّوا؛ أي: وعَلِمُوا أنَّهم قد ضَلُّوا بعبادةِ العِجلِ، أو تبيَّنَ لهم ضلالُهُم بهِ، وتحقَّقَ بما قالَهُ وفعلَهُ موسى ﷺ حتّى كأنّهُم رَأوهُ رأيَ العينِ: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾؛ أي: أقسموا إنَّه لا يسعُهُم بعدَ هذا الذّنبِ إلّا رحمةُ ربِّهم الّتي وَسِعَت كلَّ شيءٍ، قائلين: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا﴾ بقَبولِ توبتِنا والتَّجاوزِ عن جريمتِنا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ لسعادةِ الدّنيا؛ وهي الحريَّةُ والاستقلالُ في أرضِ المَوعِدِ، ولسعادةِ الآخرةِ؛ وهي دارُ الكرامةِ والرّضوانِ[4].

وتُرشِدُ الآيَةُ الكريمةُ إلى أنّ الذّنبَ مهما عَظُمَ فإنّ بابَ التّوبةِ مَفتوحٌ، ويدَ اللّهِ ممدودةٌ، فلا ييأسَنَّ أحدٌ مِن ذنبِهِ، ولا يقنطَنَّ مِن مَعاصيهِ ومُرتَكباتِهِ.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

عِلّةُ تقْديمِ آيةِ النّدامةِ على آيةِ الرّجوعِ:

تَشوُّقُ السّامِعِ إلـى خَـبرِ عُـقـوبَـتِـهـم، من دِقّةِ البيانِ ودَلالـتِـه على مُؤدّاه

كانَ مُقتَضى الظّاهرِ في ترتيبِ حكايةِ الحوادثِ أن يتأخَّرَ قولُهُ: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ﴾ عنِ الآيَةِ الّتي تليها: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾؛ لأنّهُم ما سَقَطَ في أيديهِم إلّا بعدَ أن رَجعَ مُوسى، ورأوا فَرطَ غضبِهِ، وسَمعُوا توبيخَهُ أخاهُ وإيّاهُم، وإنَّما

(1) ابن الأثير، النّهاية: (غفر).
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 235.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (غفر).
(4) محمد رضا، تفسير المنار: 9/175.

خُولِفَ مُقتَضى التّرتيبِ؛ لأنّهُ لمّا كانَ الكلامُ في سياقِ قولِهِ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ﴾، فأنتَجَ أنَّ مَن كذَّبَ على هذه الصّفةِ أُهلِكَ، فانتَظَرَ السَّامِعُ الإخبارَ بتعجيلِ هَلاكِهم، فَأخبَرَ بأنَّه مَنعَهُم من ذلكَ، وحَرَمَهُم المبادَرَةَ بالتّوبةِ، ولمّا اشتدَّ من تَشَوُّفِ السّامعِ إليهِ، قَدَّمَهُ على سَببِهِ، وهوَ رُجُوعُ مُوسى ﷺ إليهم، وإنكارُهُ عليهم[1]. وأُريدَ بتقديمِهِ عليه أيضًا حِكايةُ ما صَدَرَ عَنهُم مِنَ القَولِ والفِعلِ في مَوضِعٍ واحدٍ[2]، وتعجيلًا بذكرِ ما كانَ لاتِّخاذِهِمُ العِجلَ من عاقبةِ النّدامةِ وتَبيينِ الضّلالةِ مَوعِظةً للسّامعينَ؛ لكيلَا يَعجَلُوا في التَّحَوُّلِ عَن سُنَّتِهم، حتّى يَتَبَيَّنُوا عَواقِبَ ما هُم مُتَحوِّلُونَ إليهِ[3].

الاسْتِعارةِ التّمثيليّةِ، أوِ الكنايةِ، أوِ التّشْبيهِ في: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ﴾:

لا خلافَ في أنّ المُرادَ من قولِهِ: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ﴾، أنّهُ اشتدَّ ندمُهُم على عبادةِ العِجلِ، وتحيَّرُوا. واختلفُوا في الوجهِ الّذي لأجلِهِ حَسُنَت[4] هذه الفنونُ البلاغيّةُ: والمعنى: ولمّا سَقَطَ النّدَمُ في أَيديهِم، كَما تقولُ للّذي يَحصُلُ على شيءٍ – وَإِنْ كَانَ ممّا لا يكونُ في اليدِ – قَد حَصَلَ في يدِهِ من هذا مَكرُوهٌ، تُشَبِّهُ ما يَحصُلُ في القلبِ، وفي النّفسِ، بما يقعُ في اليدِ[5]. فجَعَلَ ذلكَ من بابِ الاستعارةِ التّمثيليّةِ حيث شبّهَ حالَ النّدمِ في النّفسِ بحالِ الشَّيءِ في اليدِ في التّحقيقِ والظُّهورِ، ثمّ عبَّرَ عنهُ بالسُّقوطِ في اليدِ[6].

إنَّ الأمرَ المَخُوفَ حَصَلَ في أيديهِم، مِن مَجْنيِّ ثَمَرةِ مَعاصِيهِم

وذَهَبَ الشّريفُ الرّضيُّ إلى أنّ في ﴿سُقِطَ﴾ استعارةً؛ "وذلك عندما يُصيبُ الإنسانَ مِنَ الإبلاسِ لِطروقِ البلاءِ، وغَلبةِ الأعداءِ،

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 3/113 - 114.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/273 - 274.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/111.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/273، وقد أجملها الرّازيّ في ستّةِ وجوهٍ، ينظر: الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 15/8 - 9.
(5) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/378.
(6) الآلوسي، روح المعاني: 9/65.

وربَّما قِيلَ ذلكَ للنّادمِ على فِعلِ الشَّيءِ، إذا وَجَدَ غَبَّ مَضرّتِهِ، ووخيمَ عاقبتِهِ؛ والمعنى: أنّ الأمرَ المخوفَ حَصَلَ في أيديهِم مِن مَجْنيِّ ثمَرَةِ مَعاصيهِم فوجدُوهُ وجدانَ مَن هو في يدِهِ إذ كانَت أيديهِم في مَكروهةٍ"[1].

معنَى ﴿سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ مِنَ الاسْتِئسارِ:

كـلُّ عـديـمِ الحيلةِ في دفْعِ ما هو بصدَدِهِ مِـن أمـرٍ، فقد (أُسْقِطَ في يَدَيْه)

قيل: إنّ أصلَهُ مِنَ الاستئسارِ، وذلك أن يضربَ الرّجلُ الرّجلَ أو يصرعَهُ، فيرميَ به مِن يديهِ إلى الأرضِ ليأسرَهُ، فيكتفَه. فالمَرميُّ به مَسقوطٌ في يديّ السّاقطِ به. ومنهُ قِيلَ لكلِّ عاجزٍ عن شيءٍ، وضارعٍ لعجزِهِ، مُتندِّمٍ على ما قالَهُ: (سَقَطَ في يديه)، و(أسقطَ)[2]؛ أي: عدمَ الحيلةِ في دفعِ ما هو بصددِهِ مِن أمرٍ.

وَجْهُ الكنايةِ في العاضِّ يدَهُ بفَمِه غمًّا:

(سُـقِـطَ في أيْـديـهِـم)، في معنَى نـدَمِ قومِ موسَى، وتبيُّنِهم للخطأِ

أو أنّه يُقالُ لِمَن اشتدَّ ندمُهُ سُقطَ في يدِهِ؛ لأنَّ مِن شأنِ مَن اشتدَّ ندمُهُ وحسرتُهُ أن يَعَضَّ يدَهُ غَمًّا، فتصيرَ يدُهُ مَسقوطًا فيها؛ لأنَّ فاهُ قد وَقَعَ فِيها. وجُعِلَ هذا المعنى مِن بابِ الكنايةِ عن شدّةِ النَّدم[3] لا المجازِ لعدمِ المانعِ عنِ الحقيقةِ[4]. فاستعمالُ الآيَةِ في معنى النَّدمِ وتبيُّنِ الخطأِ لَهُم، فالمعنى: أنَّهُم تبيَّنَ لَهُم خَطَؤُهُم وسُوءُ مُعامَلَتِهِم ربَّهُم ونبيَّهُم، فالنَّدامةُ هي مَعنى التّركيبِ كلِّه، وأمّا الكنايةُ فهي في بعضِ أجزاءِ المُركَّبِ، وهو سُقِطَ في اليدِ[5].

وَجْهٌ آخرُ للكِنايةِ في سُقُوطِهُم، بسَببِ ثِقَلِ الأغلالِ في أيْدِيهِم:

نَدمُ بني إسرائيلَ لِفعْلَتِهم، بعد غَـيـبـةِ مـوسَى ﷺ، ولاتَ حينَ مَنْدَمٍ

هي كنايةٌ عن ندمِهِم، وشدّةِ خوفِهِم، ووجهُها أنّ الّذي يسقطُ في أيدي المُجرِمينَ بسرعةٍ وعنفٍ؛ هي الأغلالُ، والأصفادُ، والقيودُ الّتي

(1) الشّريف الرّضي، تلخيص البيان، ص: 77.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 13/118 - 119.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/160، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 1/606.
(4) السّيوطيّ، نواهد الأبكار: 3/444.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/112.

يُساقُونَ بها لمعاقبتِهم، وحينَ تكونُ هذهِ مِنَ الحديدِ الثّقيلِ فإنّها قد تُسْقِطُهُم إلى الأرضِ، فيكونون بذلك نادِمينَ سَاكِنين، لا يَملِكونَ إلّا الاعترافَ بجرمِهم.

دلالة ﴿سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾:

يُقالُ للرّجُلِ إذا أخطأَ، كانَ ذلك منهُ سَقْطَةً، كأنّه سقَطَ على الأرضِ

إنّ السُّقُوطَ عِبارةٌ عن نُزُولِ الشَّيءِ مِن أعلى إلى أسفل، ولهذا قالُوا سَقَطَ المطرُ، فمَن أقدَمَ على عَمَلٍ، فهو إنّما يَقدِمُ عليهِ لاعتقادِهِ أنّ ذلك العملَ خيرٌ وصوابٌ، وأنّ ذلك العملَ يُورِثُهُ شَرَفًا ورِفعةً، فإذا بانَ لهُ أنّ ذلك العملَ كانَ باطِلاً فاسِدًا، فكأنّه قد انحطَّ مِنَ الأعلى إلى الأسفلِ، وسَقَطَ مِن فوقٍ إلى تحتٍ؛ فلهذا السّببِ يُقالُ للرّجُلِ إذا أخطأَ: كانَ ذلك منهُ سَقطَةً، شَبَّهُوا ذَلِكَ بالسَّقطَةِ على الأرضِ[1]. ومِن هُنا قِيلَ هو مِنَ السِّقاطِ؛ أي: كَثرةُ الخطأِ، والخاطِئُ يَندمُ على فِعلِهِ[2]، أو هو مَأخوذٌ مِنَ السَّقيطِ، وهوَ ما يُغَشِّي الأرضَ مِنَ الجَليدِ: وهو يُشبِهُ الثَّلجَ. يُقالُ منهُ: سَقَطَتِ الأرضُ، كما يُقَالُ مِنَ الثّلجِ: ثَلَجَت، والسَّقْطُ والسَّقِيطُ يذُوبُ بأدْنَى حَرارةٍ ولا يَبقى. ومَنْ وَقَعَ في يدِهِ السَّقيطُ لَمْ يَحصُلْ مِن بغيتِهِ على طائلٍ قَطُّ. فَصارَ هذا مَثَلًا لكلِّ مَن خَسِرَ في عاقبتِهِ، ولم يَحصُلْ مِن سَعيِهِ على طائلٍ، وكانَتِ النّدامةُ آخِرَ أمرِهِ[3].

جواز أن يكون ﴿فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ بمعنَى: (على أيدِيهِم):

لِلمُتحيِّرِ العاجزِ وصفًا، أو تصويرًا تمثيليًا

يُقالُ لهُ: سُقِطَ في يدِهِ؛ لأنّه يَتَحَيَّرُ في أمرِهِ، ويَعجَزُ عن أعمالِهِ، والآلةُ الأصليّةُ في الأعمالِ في أكثرِ الأمرِ هِيَ اليدُ، والعَاجزُ في حُكمِ السَّاقِطِ، فَلمّا قُرِنَ السُّقوطُ بالأيدي عُلِمَ أنّ السُّقُوطَ في اليَدِ إنّما حَصَلَ بِسَبَبِ العَجزِ التّامِّ، ويُقالُ في العُرفِ لِمَن لا يَهتَدِي

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 15/8.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/391.
(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 15/8.

لِما يَصنَعُ: ضَلَّت يدُهُ ورِجلُهُ، وهو يؤولُ إلى الرّأيِ الثّاني[1]. ثمّ إنّ مِنْ عادةِ النّادمِ أن يُطَأطِئَ رأسَهُ، ويضعَ ذَقَنَهُ على يدِهِ مُعتمِدًا عليها، ويصيرَ على هيئةٍ لو نُزِعَت يدُهُ لَسَقَطَ على وجهِهِ، فكأنّ اليدَ مَسقُوطٌ فيها؛ لِتَمَكُّنِ السُّقُوطِ فِيها، ويكونُ قولُهُ: سُقِطَ في أيديهِم؛ بمعنى: سُقِطَ على أيديهِم، كقولِهِ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: 71]؛ أي: عليها[2].

فائِدةُ ذِكْرِ اليدِ في الآيَةِ:

اليـدُ تُـبـاشِـرُ الأعـمـالَ، وبها يُـعَـبَّرُ عـن صُـوَرِ النّدامةِ والحَيرَةِ

الفائدةُ في ذكرِ اليدِ، والنّدمُ يكونُ في القلبِ؛ وذلك لِوجهين:

الوجهُ الأوّلُ: لأنّ اليدَ هي الآلةُ الّتي بها يَقدِرُ الإنسانُ على الأخذِ، والضّبطِ، والحِفظِ. فالنّادمُ كأنّهُ يَتَدارَكُ الحالةَ الّتي لأجلِها حَصَلَ لَهُ النّدمُ، ويَشتَغِلُ بِتَلافِيها، فكأنّهُ قد سَقَطَ في يدِ نفسِهِ مِن حيثُ إنّهُ بعدَ حُصُولِ ذلكَ النّدمِ اشتَغَلَ بالتَّدارُكِ والتَّلافي[3]. وخُصَّتِ اليدُ بالذِّكرِ؛ لأنَّ مباشرةَ الأشياءِ والذّنوبِ في الغَالِبِ تكونُ بها، فاللّائِمَةُ تَرجِعُ عليها؛ لأنّها هي الجارحةُ العُظمى، فيُسنَدُ إليها ما لم تُباشِرْ، كقولِهِ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحجّ: 10]، وكثيرٌ مِنَ الذّنوبِ لم تقدِّمْهُ اليدُ.

الوجهُ الثّاني: أنَّ النّدمَ حَدَثٌ يحصُلُ في القلبِ، وأثرُهُ يَظهَرُ في اليدِ؛ لأنّ النّادِمَ يَعَضُّ يدَهُ، ويَضرِبُ إحدى يديهِ على الأخرى، كقولِهِ: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ [الكهف: 42]، فتَقليبُ الكَفِّ عبارةٌ عَنِ النّدمِ، وكقولِهِ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: 27]. فلمَّا كانَ أثرُ النَّدمِ يحصُلُ في اليدِ مِنَ الوجهِ الّذي ذكرْنَاهُ أُضيفَ سُقُوطُ النّدمِ إلى اليدِ؛ لأنّ الّذي يَظهَرُ للعيونِ مِن فِعلِ النّادمِ هو تقليبُ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 13/118 - 119، والفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 15/8.
(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 15/9.
(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 15/8.

الكفِّ وعَضُّ الأناملِ واليدِ، كما أنّ السُّرورَ معنى في القلبِ يَستشعرُهُ الإنسانُ، والّذي يَظهَرُ مِن حالةِ الاهتزازِ والحركةِ والضّحكِ، وما يجري مَجرَاهُ[1].

بَلاغةُ الكِنايةِ والاستِعارةِ، في التَّعْبِيرِ باليدِ:

اليدُ مَناطُ القُوّةِ، وآلةُ القُدرةِ لدَى الإنسانِ

اليدُ تُستعارُ للقوّةِ والنُّصرَةِ؛ إذ بها يُضرَبُ بالسّيفِ والرُّمحِ، ولِذلِكَ حينَ يَدعُونَ على أنفسِهِم بالسُّوءِ يَقُولُونَ: (شُلَّت مِن يديَّ الأناملُ)، وهي آلةُ القُدرةِ، قالَ تعالى: ﴿ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ﴾ [ص: 17]، ويُقالُ: ما لي بذلكَ يَدٌ، أو مَا لي بذلكَ يَدانِ؛ أي: لا أستَطيعُهُ، والمَرءُ إذا حَصَلَ لَهُ شَلَلٌ في عَضُدٍ، ولم يَستَطِعْ تَحريكَهُ، يَحسُنُ أن يُقالَ: سُقِطَ في يدِهِ ساقِطٌ؛ أي: نَزَلَ بِهِ نَازِلٌ[2].

بَراعةُ التَّعْبِيرِ بالفعْلِ المبنيِّ للمَجهولِ ﴿سُقِطَ﴾:

في اللّفْظِ إيجازٌ بالحذْفِ، وكنايةٌ عـنِ المـفـاجـأة، أو كـنـايـةٌ عـنِ الخوفِ والعجْزِ

الفعل ﴿سُقِطَ﴾ مَبنيٌّ للمَجهولِ، وهو كَلِمةٌ أجراها القُرآنُ مَجرى المَثَلِ إذِ انتظمَت على إيجازٍ بديعٍ، وكنايةٍ، تحريرُهما: أنّه لمّا كانَ ذِكرُ فاعِلِ السُّقُوطِ المَجهولِ لا يَزيدُ على كونِهِ مُشتَقًّا مِن فِعلِهِ، سَاغَ أن يُبنَى فِعلُهُ للمَجهولِ؛ فمعنى: (سُقِطَ في يدِهِ): (سَقَطَ في يدِهِ سَاقِطٌ؛ فأبطَلَ حَرَكَةَ يدِهِ)؛ إذِ المقصودُ أنّ حركةَ يدِهِ تعطّلَت بِسَبَبٍ غيرِ مَعلومٍ، إلّا بأنّهُ شَيءٌ دَخَلَ في يدِهِ، فَصَيَّرَها عاجِزةً عَنِ العملِ، وذَلِكَ كنايةٌ عن كونِهِ قد فَاجأَهُ ما أوجَبَ حَيرَتَهُ في أمرِهِ، كما يُقالُ: فَتَّ في ساعِدِهِ[3]. ويُلمَحُ فيه أيضًا كأنّ السُّقُوطَ بغيرِ اختيارٍ مِنهُم لِما غَلَبَ فيهِ مِنَ الوَجْدِ والأسَفِ الّذي أزالَ تأمُّلَهُم، ولِذلِكَ بَناهُ للمَفعولِ[4]. وفيها أيضًا وجهٌ كنايةٍ عن شدّةِ خوفِهِم، وأصلُ هذه الكنايةِ أنّ المُجرِمَ إذا أدرَكَهُ الجنودُ أسرعوا، فأسقَطُوا بعُنفٍ

(1) السّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 5/463.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/111 - 112.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/112.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 3/114.

في يَدَيهِ القَيدَ الحديديَّ حتَّى لا يَفِرَّ، فإذا فعلُوا بهِ ذلكَ ارتخَت أعصابُهُ، ووهَنَتْ عزائمُهُ، وأيقَنَ أنّهُ مَسُوقٌ للعقابِ، وهؤلاء الّذين اتّخذُوا العِجلَ الذّهبيَّ الّذي عَبَدُوهُ أحسُّوا بمثلِ هذا لمَّا رَأَوْا من بعيدٍ مُوسَى عليه السلام راجعًا إليهم ومعهُ الأَلواحُ، كأنّه قد حَصَل سُقوطُ قيدٍ حَديديٍّ في أيديهِم، وسَيُلاقُونَ عقابَهُم، هذه الكنايةُ أُريدَ منها لازِمُها؛ وهو الشّعورُ بالخوفِ مِنَ العقابِ مع العَجزِ عنِ الفِرارِ، فَضْلًا عنِ النّدمِ، وهي كنايةٌ ذاتُ إبداعٍ فنّيٍّ رائعٍ، وهي مِنَ الكناياتِ الخفيّةِ مع عدمِ وجودِ وسائطَ بينَ المُكنَّى به والمُكنَّى عنه.

الغَرَضُ مِنَ الإيجازِ هنا، والإسْهابِ في سُورةِ طه:

فائِدةُ الإيجازِ ليُبنَى عليهِ أنَّ ضلالَهُم، لم يَلبَثْ أن انْكشَفَ لَهُم

وفصّلَ في سورةِ طه، فَذَكَرَ رجوعَ مُوسى إليهم وتهديدَهُ إيّاهُم وإحراقَهُ العِجْلَ، وأُوجِزَ هنا إذ مِنَ المعلومِ أنّهُم ما سَقَطَ في أيديهِم، ورَأوا أنّهُم ضَلُّوا بعدَ تَصميمِهِم وتَصَلُّبِهِم في عبادةِ العِجلِ، وقَولِهِم: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾ [طه: 91]، إلّا بسببِ حادثٍ حَدَثَ يَنكَشِفُ لَهُم بِسَبَبِهِ ضلالُهُم، فَطَيُّ ذَلكَ من قبيلِ الإيجازِ لِيُبنَى عليهِ أنّ ضلالَهُم لم يَلبَثْ أنِ انكَشَفَ لَهُم، ولِذلكَ قُرِنَ بِهَذَا حِكايةُ اتِّخاذِهِمُ العِجلَ لِلمُبادَرَةِ ببيَانِ انكِشافِ ضلالِهِم تَنهيَةً لِقصَّةِ ضَلالِهِم، وكأنّهُ قِيلَ: فَسُقِطَ في أيديهِم، ورَأوا أنّهُم قد ضَلُّوا، ثمّ قِيلَ: ولَمّا سُقِطَ أيديهِم قَالُوا[1].

عِلّةُ تقْديمِ النّدَمِ على الرُّؤيةِ:

تقديمُ النّدمِ لِلمُسارَعةِ إلى بيانِهِ، والإشعارِ بِذَلكَ

﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ باتّخاذِ العِجلِ؛ أي: تبيَّنُوا بحيثُ تَيَقَّنُوا بذلكَ حتّى كأنّهُم رَأَوْهُ بأعينِهِم، وتقديمُ ذِكرِ ندمِهِم على هذهِ الرُّؤيةِ مَعَ كونِهِ مُتَأَخِّرًا عنهَا لِلمُسارَعَةِ إلى بَيانِهِ والإشعارِ بغايةِ سُرعَتِهِ، كأنّهُ سابقٌ على الرُّؤيَةِ[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/112 - 113.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/273، والآلوسي، روح المعاني: 9/65.

نُكتةُ تقْديمِ النّدَمِ على تبيُّنِ الضّلالِ:

الانْتِقالُ مِنَ الجزْمِ بأَحَقّيّةِ الأمْرِ، إلى استِبانةِ الجزْمِ بنَقيضِهِ، لا يكونُ دُفعةً

قَدَّمَ النّدمَ في الذّكرِ على تبيُّنِ الضّلالةِ، مع أنّ المَعروفَ في العادةِ أن يَندَمَ الإنسانُ على ما عَلِمَ مِن ذنبِهِ؛ لأنّ الانتقالَ مِنَ الجزم بأنَّ هذا الأمرَ حقٌّ إلى استبانةِ الجزم بضدِّهِ أو نقيضِهِ لا يكونُ دُفعةً واحدةً في الأغلبِ، بلِ الأغلبُ أنَّهُ يَنتقِلُ مِنَ الجزمِ بصحّتِهِ أو حقيقتِهِ إلى الشَّكِّ فيها، ثمَّ إلى الظّنِّ بالضّدِّ أو النّقيضِ، ثمّ إلى الجزمِ بهِ، ثمّ إلى تبيُّنِهِ، واليقينِ فيهِ الّذي يُعبَّرُ عنهُ بالرُّؤيةِ، والقومُ كانُوا جَازِمينَ بأنّ ما فَعَلُوهُ صَوابٌ، والنَّدمُ عليهِ رُبَّما وَقَعَ لَهُم حالَ الشّكِّ فيهِ؛ فيكونُ تبيُّنُ الضّلالِ مُتأخِّرًا عنِ النّدمِ[1].

كانَ ندمَهُم من رَهبةِ مُوسَى، لا عن يَقِينهم بضَلالِهم:

عِلمُهمُ القطعيُّ بضَلالِهم، حَصَلَ بعدَ تحريقِ مُوسَى العجْلَ، ونسْفِهِ في اليمِّ

عندَ تصريحِ مُوسى بأنَّهم ضلُّوا، ورؤيتِهم ما كانَ مِن غضبِهِ وإلقائِهِ بالألواحِ حتّى تكسَّرَت، وأخذِهِ برأسِ أخيهِ هارونَ ولحيتِهِ، وجرِّهِ إليهِ، نَدِمُوا على ما فَعَلُوا، فإن كانَ هذا النّدمُ عن تقليدٍ وطاعةٍ لمُوسى لا عن علمٍ يقينيٍّ بأنَّ عملَهُم ضلالٌ، فالرّاجحُ أن يكونَ العلمُ القطعيُّ المُعبَّرُ عنهُ بقولِهِ: ﴿وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ﴾ قد حَصَلَ بعدَ تحريقِ مُوسى لِلعجلِ، ونسْفِهِ في اليمِّ[2].

تَقْديمُ النّدَمِ لِلمُبالغةِ في اسْتِشعارِهِم اسْتِحقاقَ العِقابِ:

مَنْ رأَى أنّه قد ضَلَّ، ولم يَتدارك شأنَه، فقد عرَّضَ نفسَه للهلاكِ

إنّ مِن قواعدِ علمِ المعاني أنّ ما لا يجبُ التّرتيبُ فيه بزمانٍ ولا رُتبةٍ أن يُقدَّمَ في سردِهِ، وفي نسقِهِ الأهمِّ، فإن لم يكنْ تقديمُ النّدمِ هنا لسبقِهِ في الزّمنِ، فالأظهرُ أنَّهُ لِلمُبالغةِ في استشعارِهِم استحقاقَ العقابِ، كأنَّهُ يقولُ: إنَّهم على ندمِهِم وتوبتِهِم الّتي مِن شأنِها مَحوُ الذّنبِ وتركُ العقابِ، وعلى كونِهِم

(1) الآلوسي، روح المعاني: 9/65، ومحمد رضا، تفسير المنار: 9/176.
(2) محمد رضا، تفسير المنار: 9/176.

صارُوا على علمٍ يقينيٍّ ببُطلانِ عبادةِ العِجلِ، ووجوبِ تخصيصِ الرَّبِّ بالعبادةِ[1].

دَلالةُ أُسلوبِ الشَّرْطِ في ربْطِ الخُسرانِ بعد ضمِّ الغُفرانِ:

العِلمُ بالضَّلالِ، لا يقتضِي العَفوَ والمَغفرةَ، ما لم تصْحَبْه التّوبةُ

قالوا ذَلكَ القَولَ الدَّالَّ على أنَّ مجموعَ الأمرينِ لا يكفي لاستحقاقِ المغفرةِ إلّا برحمةِ اللّهِ تعالى، ومِنَ المعلومِ أنّ العِلمَ بالضّلالِ وحدَهُ لا يقتضي العفوَ والمغفرةَ إلَّا إذا ترتَّبَ عليه العملُ بمقتضاه وهو التّوبةُ، والرّجوعُ إلى اللّهِ تعالى بالعملِ، فإنَّ الّذين ضَلُّوا على علمٍ ولم يتوبوا أشدُّ النَّاسِ عِقابًا، فَعَلِمَ بذلك أنَّ تقديمَ النّدمِ أهمُّ مِنَ العلمِ بالضّلالِ[2].

سِرُّ التَّعْبِيرُ بالفعلَيْنِ الماضيَيْنِ ﴿وَرَأَوْاْ﴾، و﴿ضَلُّواْ﴾:

المُضيُّ تحقُّقٌ لِوقوعِ الأفعالِ، وظرْفٌ لورودِه بيقينٍ

يُرَسِّخُ هذا الوقوعَ، وحتميَّةَ تحقُّقِه، توسُّطُ حرفِ التّوكيدِ المَصدَريِّ (أنّ)، واقترانُ أحدِهما، وهو الضّلالُ بـ﴿قَدْ﴾ الدّالَّةِ على التّحقيقِ، فَضلًا عن مجيئِهِ مُؤوَّلًا بالمَصدَرِ؛ أي: رَأوا ضلالَهُم. والتَّعبيرُ بالمصدرِ المُنسبكِ أقوى في الدّلالةِ على الحَدَثِ مِنَ الفعلِ.

بَلاغةُ حَشْدِ المُؤكِّداتِ في الآيةِ:

شِدّةُ طلَبِهِم للرّحمةِ والمغفرةِ، وخَشْيتِهم مِنَ الخُسرانِ، سبيلٌ لرحمةِ الرّحمنِ

قولُهُم: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ تَوبَةٌ وإنَابَةٌ، وقَد عَلِمُوا أنَّهم أخطَؤُوا خَطِيئةً عَظيمَةً، ولذلكَ أكَّدُوا التّعليقَ الشّرطِيَّ بالقَسَمِ الّذي وطّأتهُ اللّامُ[3]، مُبالغةً في طلبِ الرّحمةِ، والمَغفرةِ، مُعزِّزينَ ذلك بالتَّعبيرِ بأسلوبِ الجزمِ، والتّوكيدِ بالنّونِ الثّقيلةِ.

غرَضُ صَوْغِ فِعلَيِ الرّحمةِ والمغفرةِ بالمضارعِ المَنفيِّ:

قولُهُم: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾، أدّى التَّعبيرُ عن فعْلَيِ

(1) محمد رضا، تفسير المنار: 9/176.
(2) محمد رضا، تفسير المنار: 9/176.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/113.

(الرّحمةِ، والمغفرةِ) بصيغةِ المضارعِ المجزومِ بـ(لم) معنى طَلَبِهِم تحقُّقَ هذين الفعلَين في الزّمنِ الماضي المُطلَقِ لِفداحةِ صنيعِهِم؛ أي: إنْ لم ترحمْنا على ما فعلْناهُ، وتغفرْهُ لنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرينَ.

الـدّلالـةُ على إرادةِ تحقُّقِ الـفـعـلَـيْن مِـنَ الزّمنِ الماضِي

سِرُّ الإتْيانِ باللّفظَيْن ﴿رَبُّنَا﴾، و﴿لَنَا﴾:

أُورِدَ بلفظِ (الرّبّ) مُضافًا إلى ضَميرِهِ المُشارِكينَ (نا) المُتضمِّنِ معنى المُرَبِّي لإصلاحِهِ رعيتَه، والّذي يُناسِبُ مَقامَ طَلَبِهِم الرّحمةَ والمغفرةَ، وفي ذلك إظهارٌ للتَّودُّدِ، والخضوعِ، ومزيدِ اللُّجوءِ إليهِ. أمّا شبهُ الجُملَةِ ﴿لَنَا﴾ ففيهِ تخصيصٌ لِلمَغفرةِ بِهِم، وتأكيدٌ لِتخصيصِ الرّحمةِ بِهِم مِن قبلُ بإضافتِهِ إلى ضَميرِ المُتَكَلِّمينَ (نا).

إظهارُ الخضُوعِ، وتَـخـصـيـصُ المغفرةِ والرّحمةِ بِهِم

بَلاغةُ التَّعْبيرِ بـ﴿مِنَ﴾، على طريقِ الكِنايةِ:

مَجيءُ خَبَرِ كانَ مُقترِنًا بحرفِ ﴿مِنَ﴾ التّبعيضيّةِ؛ لأنّ ذلكَ أقوى في إثباتِ الخَسارةِ مِن (لَنَكُونَنَّ خاسِرينَ)، كما تَقدَّمَ في قولِهِ تعالى: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنعام: 56][1]؛ لأنّ المقصودَ نفيُ الجُملَةِ الّتي خبرُها ﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، فإنّ التّعريفَ في (الخاسرين) تعريفُ الجنسِ، فإخبارُ المُتَكَلِّمينَ عن أنفسِهِم بأنّهُم مِنَ الخاسِرينَ يُفيدُ أنّهُم فِئةٌ مِنَ المَعروفينَ عندَ النّاسِ بالخاسِرينَ، فَأَفادُوا بأنّهُم خاسرونَ إفادةً بطريقةٍ تُشبهُ طريقةَ الاستدلالِ، فهو مِن قبيلِ الكنايةِ الّتي هي إثباتُ الشَّيءِ بإثباتِ مَلزومِهِ، وهي أبلغُ مِنَ التّصريحِ. وقد جاءَ في (الكشّاف) في قولِهِ تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الشّعراء: 168]: قولُكَ: فلانٌ مِنَ العلماءِ أبلغُ مِن قولِكَ: فلانٌ عالمٌ، لأنّكَ تَشهَدُ لهُ بكونِهِ مَعدُودًا في زمرتِهِم، ومعروفةً مُساهمتُهُ لَهُم في العلمِ[2].

إثباتُ الخسارةِ بالإفادةِ بأنّهُمْ خـاسِـرونَ، بطريقةٍ تُشبهُ الاستدلالَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/113.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/331، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/263.

تَوجيهُ قراءةِ تاءِ الخطابِ (ترحمنا ربَّنا وتغفر لنا):

كـلامُ التّائِبين إقـرارٌ بيقين، لطَلَبِ العَفْوِ من ربِّ العالمينَ

وقَرَأَهُ الجمهورُ ﴿يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ بياءِ الغيبةِ، في أوَّلِ الفعلَين، وبرفعِ كلمة ﴿رَبُّنَا﴾، وقَرَأَ حَمزةُ والكِسائيُّ وَخَلَفٌ وغيرُهُم: (ترحمنا ربَّنا وتغفر لنا) بتاءِ الخطابِ في أوّلِ الفعلَين، ونصبِ كلمة (ربَّنا)[1] على أنَّهُ مُنادى، وهذا كلامُ التّائِبينَ، كما قالَ آدمُ وحواءُ عليهما السلام: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾ [الأعراف: 23][2]. ويجوزُ أن يكونَ هذا الكلامُ صَدَرَ من جميعِهم على التَّعاقُبِ، أو هذا من طائفةٍ وهذا من طائفةٍ، فَمَنْ غَلَبَ عليه الخوفُ، وقَوِيَ على المُواجهةِ، خَاطَبَ مُستَقيلًا من ذنبِهِ، ومَنْ غَلَبَ عليه الحياءُ أخرجَ كلامَهُ مُخْرَجَ المُستَحيي مِنَ الخطابِ، فأَسندَ الفعلَ إلى الغائبِ[3]. وفيه معنى الاستِغاثةِ والتَّضرُّعِ والابتهالِ في السّؤالِ والدُّعَاءِ، وهو أيضًا أبلغُ في الدُّعَاءِ والخضوعِ. فالقراءةُ بالتّاءِ والدّعاء أبلغُ في الاستكانةِ والتَّضرُّعِ[4].

عِلَّةُ تَقْديمِ الرّحمةِ على المغفرةِ:

المُسارَعةُ إلى المقصودِ الأصْليِّ، وحُصول الرّحمةِ مُفْضٍ إلى حُصولِ المغفرة

وتقديمُ الرّحمةِ على المغفرةِ في قوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ – مع أنّ التّخليةَ حقُّها أن تُقدَّمَ على التّحليَةِ – إمَّا لِلمُسارعةِ إلى ما هو المَقصُودُ الأصليُّ، وإمّا لأنّ المُرادَ بالرّحمةِ مُطلَقُ إرادةِ الخيرِ بِهِم، وهو مبدأٌ لإنزالِ التّوبةِ المُكفِّرَةِ لِذنوبِهم[5]. ووجهُ تقديمِ ذكرِ الرّحمةِ على ذكرِ المغفرةِ، وهو أنَّها سببُها، فإنَّ التّوبةَ ومَعرفةَ الحقِّ لا يَكفيانِ لِلمَغفرةِ بدونِها، ولا غروَ فقد وَرَدَ في الصّحيحين عن أبي هُريرةَ قال: سمعْتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقولُ: «لن يُدخِلَ أحدًا عملُهُ الجنَّةَ. قالوا: ولا أنت يا رسولَ اللّهِ؟ قال: ولا أنا إلّا أن يتغمَّدَني

(1) ابن مجاهد، السّبعة، ص: 294، وابن الجزريّ، النّشر: 2/272.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/160.
(3) السّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 5/465.
(4) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 7/286.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/273.

اللّهُ بفضلٍ ورحمةٍ فسَدِّدُوا وقارِبُوا»[1]. فقدّمُوا الرّحمةَ على المغفرةِ؛ لأنّها سببُها؛ فإنَّ التَّوبَةَ ومَعرِفَةَ الحَقِّ لا يَكفِيَانِ لِلمَغفِرَةِ بِدُونِهَا[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الرّحمةُ، والغفرانُ، والعفوُ، والصّفحُ:

الغُفرانُ إسقاطٌ للعِقابِ، مع إيجابِ الثّوابِ، ويكونُ منَ اللهِ للعِبادِ

تقدَّمَ أنّ الرَّحمةَ رِقَّةٌ تَقتَضِي الإحسَانَ إلى المَرحُومِ، وهذا ظاهر في دلالتِهِ على طلبِ الإنعامِ، والتَّفضُّلِ، والإحسانِ، والرّأفةِ بحالِهِم. أَمّا غفرانُ الذّنوبِ فسَتْرُهَا وعدمُ الفضيحةِ على رُؤُوسِ المَلأِ. وكلُّ شَيءٍ سترتَهُ فقد غفرتَهُ، فالغفرانُ يَقتَضِي إسقَاطَ العقَابِ، وإسقَاطُ العقَابِ هُو إيجَابُ الثَّوَابِ فَلَا يستَحِقُّ الغفرانَ إلَّا المُؤمِنُ المُستَحِقُّ للثَّوابِ، وَالعَفوُ يَقتَضِي إزَالَةَ شَيءٍ عَنهُ، وإسقَاطَ اللَّومِ والذّمِّ، ولَا يَقتَضِي إيجَابَ الثَّوَابِ، فالغفرانُ أخصُّ، وهُوَ يَقتَضِي إيجَابَ الثَّوَابِ. والصّفحُ التّجاوزُ عَنِ الذَّنبِ، وَقِيلَ: هُوَ تركُ مُؤَاخذَةِ المُذنِبِ[3].

ولِذلِكَ فالجمعُ بينَ الرّحمةِ والغفرانِ في خطابِ بني إسرائيلَ في الآيَةِ الكريمةِ جنوحٌ نحوَ حتْميّةِ القَبولِ، والرّغبةِ في التَّوبةِ بطَلَبِ الإحسانِ بِهِم، والرّأفةِ أوّلًا، ثمَّ سَتْرِ ذنوبِهِم بإسقاطِ العقابِ، وإيجابِ الثّوابِ، وذلك أنسبُ اعتذارٍ لفداحةِ صنيعِهِم؛ باتّخاذِهِم صنمًا عِجلًا مَعبودًا مِن دونِ اللّهِ، مِنَ الاقتصارِ على أحدِ الفعلَين، أو اختيارِ غيرِهما.

(1) محمد رضا، تفسير المنار: 9/176. والحديث أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، بَابُ: تَمَنِّي المَرِيضِ المَوْتَ، الحديث رقم: (5673).

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/113.

(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 235 - 236.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»